النظرية المعيارية:

الدكتور محمد ولد بوعليبه

تتميز هذه البحوث عن الألسنية البنيوية: بكون التراكيب اللغوية قد اعتبرت الآن على أنها بنى فطر عليها الإنسان،ونذكر هنا على سبيل المثال الكتاب الذي أشعل ماقد أعتبر أحيانا بالثورة الألسنيةألا وهو كتاب "البني التركيبية"(1) (الصادر سنة 1957المترجم الى الفرنسية سنة 1969) (2).

أماكتابه "جوانب من النظرية التركيبية" الصادر سنة1965 المترجم إلى اللغة الفرنسية تحت عنوان Aspects de la théorie syntaxique 1971 فهو يقدم نظرية شومسكي في صورتها المعيارية "standard" مع انها قد اعتبرت في نهاية المطاف متجاوزة من طرف كتابات لاحقة.

ومن المهم أن نسجل هنا أن هذه الأفكار تتعارض مع خطوات بعض الألسنيّن البنيويين. فشومسكي - على عكس البنيوين - لاينطلق من متن من العبارات التي أنتجت قبلا وتنهمك البنيوية في تقطيعها إلى عناصر متفاوتة في الطول (محور أفقي ، مونيمات وفونيمات)، وتدرس توزيعاتها- فالمشكلة بالنسبة لشومسكي تكمن في إعداد تصنيف لعناصر منتجة سلفا، ولكن الذي يهمه هو معرفة مقدرة الإنسان على انتاج أي توليد "Générer" وفهم العبارات اللغوية (الجملة) بأعداد لامتناهية.

إن البحث سوف يتمحور حول المقدرة على إنتاج وفهم بعض الجمل، ومن هنا نكون مخطئين - نظريا على الأقل - إذا نحن أخذنا على شومسكي عدم مبالاته بالطابع الممثل وذلك عندما يستخدم الشواهد (هذه الشواهد هي دائما الهاجس لدى اللغويين عند جمعهم للمتون لغايات وصفية).

وعلى العكس من هذا فإن شومسكى لايعطى قيمة للشواهد المضادة لتصوره.

إن شومسكي لايفكر في اكتشاف بنية اللغة عن طريق وصف دقيق لها. ولكنه يفكر ببساطة في الكيفية التي يمكنه من خلالها التحقق من بعض الافتراضات حول نظام عمل اللغة "fonctionnement" وحتى لوكان تحليل بعض الجمل وراء وضع هذه الافتراضات.

ويمكننا أن نسجل أن هذا التحليل، تحليل الافتراضات المقترحة، المتمثلة في البنى اللغوية التي تتشكل من عناصر او مجموعة عناصر تكون وحدة هي المحاور الافقية. "les syntagmes", .فمثلا في تركيب العبارة التالية:

le petit garçon jeta la balle يمكن ملاحظة المحور الفعلي jeta la balle لوجود الفعل "jeta" ومكمله المحور الاسمي le petit garçon.

إن هـذه معلومات ومصطلحات مأخوذة من علم اللغة البنيوى ؛ حددهـا وو ضحها سويسر Saussure, وهو الذى أعطى مفهوم ومصطلح المحو رsyntagme إن الوظائف التركيب بالنسبة لشـومسكى يمكن أن تستخدم فى شرحه .

وإذا كـان التركيـب يستخـدم من أجل التـواصل بين البشـر فإن هذه الـوظيفة بالنسبـة للتركيـب عند شـومسكي ثانوية وليست ضرورية لشرحه. ويبقـى التركيب بالنسبة له نظـاما شكليا مستقلا . وينتج عن ذلك، عند شومسكي : "أن الفكرة القائلة : أن التركيب عند البشر ليس إلا نموذجا أكثر تعقيدا من بين نماذج أخرى فى عالم الحيوان ، تبدو واهية"(3).

أ ـ توليد جمل مقبولة :

إن أحدا عارفا بلغة متكلما كان أو مستمعا يمكنه أن يميز وعـن طريق حدس الألفاظ Enoncés الداخلة فى لغتـه أو الألفاظ التى تنتمى إلى لغـة أخرى. إن هذا الحكم بالقبـول للألفاظ ينطبق على كل الجمل التى يطلقهـا أو يستقبلهـا الفرد حتى ولـو كانت جديدة. وأن هذا الحكم لاينطبـق على المعنى (فى نظـرية شومسكى فى حالها الأول على الأقل) فالمتكلم قد يعترف بالتركيب الصحيح لجمل لاتحمل معنى من مثل: "الأفكار الخضراء غير الملونة تنام بغضب" ويكون الحكم حينئذ حكما نحـويا. فهل الإعراب مندرج تحت المعانى أم أن المعانى مندرجة تحت الإعراب !!! إن شومسكى يعتبر حتى 1957 أن هذه الجمل نحوية فهي إذن مقبـولة. وشـومسكى يميز بين "حدس الصـورة الألسنيـة" أي الحـدس النحـوي، وحدس المعنى فهـو يقول:

" وليـس بديهيا مـع ذلك أن حدس المعنى أقـل أهميـة فى الـدراسات الحـالية مـن حـدس الصـورة الألـسـيـنـيـة"(4).

وبعد سنة 1964 ستتغير آراؤه. فسوف يدخل ـ كما سنرى لاحقا ـ قواعد الأختيار المعجمية (التى تتحدد فى الأسـاس بتكوين لائحة من الأسماء يمكـن أن تكون مسندا إليه لفعل تام" مثلاأو لمصـدر هـذا الفعل الخ). ومن هنا ندرك أن جميع الجمل التى أعترف بها على أنها صحيحة نحويا يمكن ألاتكون مقبولة من طرف المتكلم والسامع ، وذلك لكونها أعتبرت غير مفهومة .

فـالنحو المعنى هنا ليس نحوا معياريا يرسـم أوامر يجب إلتزامها لكي توافـق الاستعمال السليم. إنه تمثيل

لنموذج قواعدي فقط (معنى ذلك أن أمرا صدر يجب تنفيذه لكي يحقق تركيبا) وهذه الأوامر تجعل المتكلم ينتج أو يولد جملا جديدة يعترف لها بانتمائها إلى اللغة .

إن عمل الألسني يقتضي بناء ميكانيزم أو آلية بطريقة واضحة؛ أو على الأصح برنامجا بالمعنى الذي يأخذه هذا اللفظ عندما يطبق على الكومبيوتر ، يكون قادرا على توليد كل الجمل النحوية وحدها .

ويمكننا ملاحظة القرابة التي تتأسس بين عمل الألسني وعمل المهندس، المهندس الذي يبحث على سبيل المثال عن برمجة مكنة للترجمة، وهنا نكرر أن النجاح المحتمل لهذا الألسني أو لهذا المهندس لايعني بالضرورة أنه أكتشف شكل الميكانيزمات الدماغية أو النفسية للمتكلم هذه الوسائل التي تجعل منه إنسانا جاهزا حقا للعمل .

إن مفهوم الأساس للنحو التوليدي ليس عديم الجدوى: فهو خلق محكوم بقواعد، خلق متميز عن الخلق الناجم عن مخالفة القواعد كخلق الكلام الذي بواسطته حسب، سوسير تتطور اللغة .

النظرية التوليدية لسنة 1965:

ماهي إذن الطرق أو القواعد التي يجب الإقتصار عليها بحذر. وكأن كل شيء يحدث بشكل عادي عن طريق الحدس، وكأن كل شيء قد هيء وعمل المتكلم بمقتضاه؟

إن شومسكي يقترح بجلاء النظرية التوليدية لسنة 1965. إن مجموعة القواعد التي تشكل النحو تنقسم إلى مجموعات ثلاث (أنظر الجدول) تسمى "composantes" "مركبات" أو "مكونات" وهي المكونات التركيبية syntaxiques والصوتمية phonologiques والدلالية sémantiques.

ولكل جمل: تنتج المكونة الصوتية نظاما من الأصوات متصل بنظام من المعاني كانت المكونة الدلالية قد أنتجته (ويمكن في هذه الحالة أن نتذكر نظرية العلامة الألسنية signe linguistique السوسيرية).

إن هذاالمخطط قدأقتبس من كتاب Aspects de la théoriesyntaxique

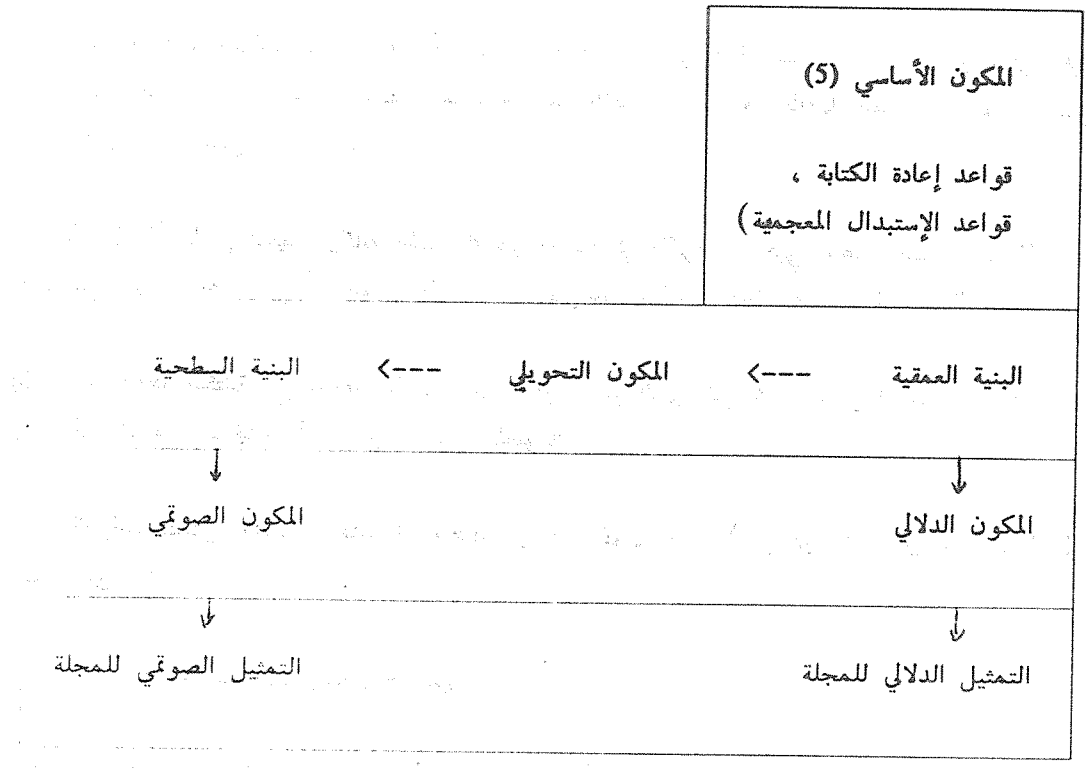

يمكن أن نلاحظ الأهمية الكبرى التي توليها النظرية لمفهوم البنية وبالتالي التركيب (ويمكن أن يعرف التركيب بصفة عامة على أنه نظام العلاقات التي يمكن ملاحظتها بين عناصر اللغة ، أو على أنها دراسة هذاالنظام).

إن الأصوات والدلالات ليست إلا ثوبين مختلفين لبنية قد أنتجت قبلا. ويمكن لنا تقريب هذه الفكرة من تلك القائلة بأن وظائف التركيب، وخاصة "الإيصال"communication لايمكن لها أن تدخل في الإعتبار في نظرية أساسية للتركيب .

إن التأويل الصوتي ينطبق على بنية مسماة البنية الطحية، وقد حصل على هذه البنية الطحية عن طريق المكون التحويلي من خلال البنية العميقةprofonde, وهذه الأخيرة انطبق عليها المكون الدلالي. إن المكون التركيبي ينقسم إلى مجموعتين من القواعد لازال شومسكي يسميها المكونات "composantes" المكون الأساسي composante de base, وهي تشمل القواعد"التي ستكون البنية العميقة، والمكون التحويلي وهو القواعد التي ستمكن من التجاوز من البنية العميقة إلى البنية السطحية.
إن هذه البنى هي حتما بنى مجردة لأنها لم تؤول سواء على مستوى الصوت أو على مستوى المعنى .

وإذا كانت هناك عبارات ملموسة قد أستعملت من أجل عرض هذا الجزء من نظرية شومسكي، فإنه علينا نحن القراء ألا نعتبر سوى بنيتها المجردة وليست الأصوات التى قد نطلقها عند قراءتنا لها ، وليس أيضا المعنى الذى يمكن أن نعطيها.

إن المكون الأساسي ليظهر وكأنه الجزء الأكثر أهمية في المكون التركيبي. وهو يحتوي أي المكون الأساسي على قواعد يمكن أن تتوزع إلى صنفين: قواعد إعادة الكتابة وقواعد الاستبدال المعجمية.

إن قواعد إعادة الكتابة هي قواعد شكلية وهي تطلق الرمز الذي يحل محل الرمز (وعلينا هنا أن نفكر في الخطوة نفسها المستخدمة في المنطق والجبر والمعلوماتية).

وهذه القواعد تشكل مقاطيع، وهذه قاعدة يمكن لها أن تكون مقطعا (ولو على الأقل في الصورة الأولى لنظرية شومسكي):

الجملة ← محور إسمي + محور فعلي

ويمكن أن تؤول بالطريقة التالية: من أجل إنتاج جملة يجب إنتاج محور إسمي ويتبع بمحور فعلي .

ويمكن أن تكون القواعد الأخرى كالتالى :
المحور الإسمى ← حرف +إسم
المحور الفعلي ← فعل + مكمل

وهذا يؤول كالتالى: من أجل إنتاج محور إسمي ، يجب إنتاج حرف متبوع بإسم. ومن أجل إنتاج محور فعلي يجب إنتاج فعل متبوع بمكمل .

وهذه السلسلة من التعليمات تقدم عادة على شكل شجرة تسمى المؤشر المحوري Indicateur syntagmatique.

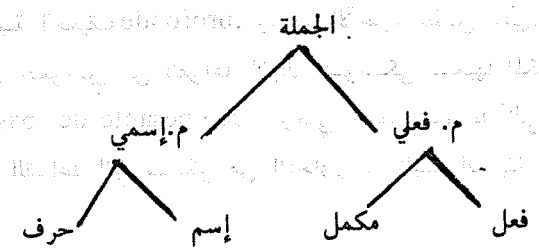

ففي جمل من مثل : "Le garçon chante faut" الطفل يغني خطأ او "La voiture roule vite" السيارة تجري بسرعة. يمكن أن تكون قد ولدت بمجموع قواعد إعادة الكتابة أعلاه.

ويمكن الإشارة هنا إلى أن علم اللغة البنيوي يستخدم نموذج الشجرة لوصف بنى الملفوظات Enoncés. وعند شومسكي تصبح هذه الملفوظات سلسلة متتابعة من التعليمات تمكن من إنتاجها. في الواقع ، إن قواعدا من هذا النوع داخل النظرية التوليديةلسنة 1965 ـ هذه القواعد التي ورد ذكرها قبل قليل ـ تنتج ماعرف بالنواة "noyau" نواة الجملة، بمعنى أن بنيتها المعبرة(من التعبير) على شكل صيغة فاعلمية "forme active" (وليست صيغة لقابلية) خبرية (وليست استفهامية وليست أمرية)، تأكيدية وليست نافية من مثل الجملة التالية:
"le garçon chante faux" في هذه النظرية التوليدية، مقطع القواعد الذى ينتج "النواة" يكون مسبقا بقاعدة للشكل:

الجملة ـــ المكون +النواة.

ويمكن أن يؤول هذا المخطط ب: من أجل انتاج بنية جملة تكون مكونا أو مجموعة مكونات للجملة والنواة. إن مكونات الجملة توفر بيانات مهمة للتحولات اللاحقة للبنية العميقة باتجاهها نحو البنية السطحية .
فمثلا عندما تعطى التعليمات التالية :

مكون ـــ إستفهامية+ منفية.

فإن النوى المنتجة من طرف المؤشر المحورى. "indicateur syntagmatique" السابق ستأخذ على مستوى السطحية بنية مشابهة لبنى الجمل التالية:

les voitures ne roulent-ellepas vite ?
Le garçon ne chante-t-ilpas faux ?

إن قواعد الاستبدال المعجمية هي إحدى مكونات المكون الأساسي وهي تتدخل في نهاية مطاف قواعد إعادة الكتابات السابقة .

ودورها إدخال بعض القيود على الكيفية التي تستبدل بها الرموز symboles الواقعة في الطرف الذي

المراجع

1) سنذكر مؤلفات شومسكي في الإحالات بتواريخ صدورها بالانجليزية لكن الصفحات التي نحيل إليها هي صفحات الترجمة الفرنسية المطابقة لها.

2) Les structures syntaxiques. Seuil 1969

3) CHOMSKY (N) Les structures syntaxiques P.106

4) Id; Ibid : P .103

5) يتكون المكون التركيبي من المكون الاساسي والمكون التحويلي.

6) CHOMSKY (N) Aspects de la théorie syntaxique P.13

7) Id; Ibid : P .12